رحلة الى مدريد:

الحكمة والخوف اللذيذ واستحضار التراث الاندلسي

احدى ساحات مدريد

عزيز الحدادي*

■ كنت أحب مدريد وأتمنى العيش فيها مدى الحياة، لكن سفري الأخير جعلني أقتنع بأن هذه المدينة قد تحولت إلى شبح حقيقي يتجلى في الخوف، في عدم الاطمئنان، خاصة في النظر إلى الاخر باعتباره آخر.

هكذا تجد نفسك وحيدا مع الواحد متشبثا برغبتك في الحوار، في التعايش، والتسامح لا لشيء إلا لأنك قادم من المغرب، من بلد الهجرة والإرهاب، بيد أن إصرارهم يجعلك تشعر بالاغتراب، وربما بالندم لأنك تبدو مزعجا تشوش راحتهم وهدوءهم وتهدد اطمئنانهم.

كانت الرحلة إلى مدريد شبه ممتعة، ولكن بمجرد ما وصلت إلى هذه المدينة الجميلة شعرت بالاغتراب المطلق، وتحولت إلى سفير للمحبة المستحيلة للحوار بين الثقافات والتعايش بين الحضارات، بيد أنني اقتنعت أنه من المستحيل تحقيق ذلك مع سكانها الذين ينظرون إليك بخوف وتحفظ لافت للانتباه، هل حقق الإرهاب العقائدي مبتغاه، هل بدأ يشكل سلطة الخوف ويتحكم في مصيرنا، ويعبث بالتاريخ العريق الذي يجمعنا بالاسبان؟ هل بات من اللازم اعتبار ما قام به أشخاص ينتمون إلى التتر الثقافي مجرد لحظة عابرة أو مجرد صدفة رديئة، أم انه الحقيقة؟

لقد نزلت بمطار براخاس الجميل الذي يرمز إلى أرقى ما وصلت إليه هندسة ما بعد الحداثة ووجدت القديس خوان مارتوس مدير الدراسات العربية والإسلامية بجامعة كومبلتينسي بمدريد وزوجته الأستاذة ماريا ديلكارمين التي تدرس الرياضيات بجامعات القديس باولو في انتظاري، وقد كان اللقاء بهما متعة حقيقية بدأت مبكرة منتعشة تسعى إلى استحضار ذلك التراث المشترك الذي تم نسيانه وإلحاقه بالعدم.

هكذا تحدثنا عن الحلم الأندلسي وفلاسفته وشعرائه ومتصوفيه إلى أن وصلنا إلى لحظة الصمت والألم الناعم، إذ ما معنى ان تكون منتسبا إلى ماض عريق وجميل وحاضر مؤلم وكريه؟

بعبارة أخرى ما الذي جعل الحاضر القاتم يخفي ذلك الماضي المتنور الرائع؟، بل أكثر من ذلك ما الذي جعل جماعة من الناس لا تؤمن بالحداثة والعقلانية وغريبة عن مجتمعها لا تؤمن بالاخر تشكل ستارا مظلما بين شعبين يقتسمان نفس التاريخ ونفس القدر في الوجود؟ بل ما معنى أن تكون المدينة جميلة ومشرقة وسكانها عبارة عن قطع ثلج ولهم رؤى استبدادية مشبعة بالبغض؟ هل الحداثة هي ان تؤسس، عمارة باهرة ومدهشة، وإنسانا باردا متوحشا وقاتلا في لامبالاته؟

كنت أتجول في مدريد باحثا عن باب الشمس وعن Plaza Mayor، متسكعا بين شوارعها الجميلة، ملتمسا المعذرة إلى تلك الحسناوات اللواتي تحولن إلى مجرد دمىً فارغة من الدلالة والمعنى، ذلك أن الخوف من الوجود ومن الاخر أفقدهن تلك الابتسامة الأنثوية الجميلة.

كان اللقاء في جامعة الكومبلتنسي حميميا، حيث ان مدير شعبة الدراسات العربية ومدير شعبة الفلسفة رفائل رامون جيريرو والعالم المحقق للتراث الرشدي جوزيف بويج كانوا في انتظاري من أجل تقديم محاضرة في موضوع ابن رشد وحوار الثقافات فهذا العنوان قد يبدو مثيرا للدهشة والحيرة، وقد يبدو ملتبسا، إذ ما علاقة ابن رشد بحوار الثقافات، وهل يمكن اعتبار هذا الجمع مجرد رغبة في إثبات الذات، ام أنه عبارة عن حلم لا متناه وصعب التحقق؟

ولا أخفيكم ان مدريد قد جعلتني أشك في تلك المقولة الشهيرة لديكارت التي تقول بان الجنس البشري واحد، والدليل على ذلك أن العقل أعدل قسمة بين الناس، هكذا كبر في قلبي ذلك التساؤل الاونطولوجي وهو ما معنى ان يكون وجودك صفرا من المعنى، أي ما معنى ان تكون موجودا ومنعدما في نفس الوقت؟

ان السكن في الاغتراب والإقامة في الغياب هما بمثابة بوابة على العدم باعتباره لا وجوداً والمسافة بين الوجود واللاوجود هي أقرب مسافة يعيشها الإنسان حين يكون غريبا في تلك المدن الحداثية المتوحشة في العزلة ولذلك يسعى إلى استنبات أهل اخرين فيقفون أمامه كالأشجار ثم يصير لهم ظل يحاول الاختباء فيه فيتحول إلى طفل يقوم باستدعاء ذكرياته، هكذا تتحول الأحلام إلى تجليات ويصير للمكان فيوضاته وكشوفاته، وربما قد يتحول إلى ما بعد المكان أي إلى مكانة بلغة ابن عربي، حيث ينتقل من العيان إلى الحواس والعواطف النبيلة.

أقول لكم بأنني لم أجد في مدريد ماء البحر ولا الكبريت الأحمر، بل مجرد كائنات تسكن في كينونتها وقد حققت شبه قطيعة مع الخرافة والأساطير القاتمة، على الرغم من ان في مدريد أيضا أشقياء يعيشون حياة شقية تنحصر في ذلك الثلاثي المأساوي ميترو، شغل، نوم، كما أن هناك متطرفين يمثلون مرحلة ما بعد الصليبية، فالآخر بالنسبة إليهم مجرد كائن عقائدي، أو يمثل ديانة مضادة لديانتهم.

ان التطرف الديني هو أخطر تطرف ينذر بنهاية العالم، ولذلك أصبحت الجامعات تعرف دينيا وليس ثقافيا، وتحولت العقيدة إلى حزب سياسي دائم يقدم وعودا للمخلصين بان لهم إقامة جميلة في العالم الاخر، كما تفعل الأحزاب السياسية العابرة حين يقوم برنامجها على الوعود والأحلام.

جامعة الكومبلتنسي مذاق الدهشة

حلم جميل تفتقده في نفس اللحظة التي تتشبث به، تسعى ان تتعقب خطى الفيلسوف الاسباني ارتيغا الذي يقف تمثاله شاهدا على دخوله إلى جامعة كومبلتنسي بمدريد، هكذا تنظر إليه وتتساءل عن أحوال الفلسفة هنا، هل تعيش الاغتراب، أم أنها توجد في بيتها؟

لكن من سيجيبك عن هذا السؤال، هل أتوجه إلى طلبة الفلسفة ام إلى الأساتذة؟ اخترت ان أرتاح قليلا في المقهى الفلسفي التابع لكلية الفلسفة وهو تقليد رائع من الصعب ان نحلم به في المغرب. تجد الجميع في حوار مسترسل تلتقط من خلاله بعض الأسماء كأفلاطون أو ديكارت وهيغل وانامونو وسارتر. هكذا تجد نفسك على حافة الرغبة في مشاركتهم واقتسام نكهة الحديث عن تاريخ الفلسفة وعن رموزه معهم، بيد ان الحياد يمارس سلطته، ذلك ان سارتر لم يترك لنا فرصة التمرد على تلك المقولة الشهيرة، الاخر جحيم!. والواقع ان الغرب بشكل عام قد أصبحت عنده رؤية إرهابية للاخر، خاصة ذلك القادم من تلك الأرض التي ينتشر فيها الإسلام، فالاخر بالنسبة إليهم هو الغريب الذي يكون مزعجا، مخيفا، ولذلك ينبغي الابتعاد عنه ما أمكن. هكذا تجد نفسك تسكن في الغياب، وتقيم في الصمت، وتتخذ من الحوار الداخلي وسيلة، او ربما غاية لكي لا تشعر بأنك قد تحولت بالفعل إلى مجرد جحيم، وتتساءل ما الذي أبعد الإنسانية عن المحبة وفضيلة الحوار والتعايش مع الاخر، هل بإمكان الفلسفة باعتبارها محبة للحكمة ان تعيد الأمل إلى قلوب الناس، وتجعلهم يؤمنون بتلك العبارة الشهيرة لرامبو، الأنا هو الاخر.

لعل أول ما يجعلك تعتقد بان للفلسفة مكانة راقية ومرتبة أسمى وأنبل وأشرف في هذه الجامعة، هو تخصيص كلية كاملة للفلسفة: كلية الفلسفة معنى ذلك ان عدد الطلبة والأساتذة سيكون مرتفعا لأن المجتمع الاسباني في حاجة إلى الفلسفة وإلى عدد كبير من الفلاسفة من أجل تحديث بنياته ونشر العقلانية باعتبارها اللبنة الاولى لكل ديمقراطية. ومن المخجل ان نقارن هذه الكلية بشعبة الفلسفة الحزينة بفاس أو شعبة الفلسفة بالرباط.

هكذا تجد نفسك تعانق خيبة الأمل مندهشا كالطهطاوي الذي حاول ان يلخص الابريز من باريز فسقط في لعبة الإغماض، فقال معلنا عن تخلفه لو كان للجنة عاصمة لكانت باريس، لأن كل شيء فيها جميل لكن ينقصها الإسلام فتحقيق الكمال بالنسبة إليه سيتم لو اعتنق أهل باريس الديانة الإسلامية. لعل هذه الرؤية التي لا ترى الا من خلال الستار وتسعى إلى المزج بين الحياة والعقيدة، وبين العقيدة والزمن والمكان لا تزال تستمر إلى يومنا هذا، بل هي المسؤولة عن صراع الحضارات وعدم تعايش الثقافات وانعدام الحوار بين الانسانية، بل وتحويلنا إلى مجرد كائنات خرافية مخيفة ومزعجة يرغب الكل في الابتعاد عنها، فبدلا من ان تتخذ من الثقافة مقياسا للتفوق والتنافس لكي تساهم في تحديث المجتمع ودفعه نحو التقدم والازدهار سواء الثقافي، أو السياسي، والاقتصادي تم اختيار الانغلاق حول الذات والايمان بالتفوق العقائدي وعدم الاعتراف بالاخر لأنه يمثل عقيدة أخرى مغايرة لنا.

سلامنكا مدينة الأحلام الجميلة والتجليات العرفانية

قد يكون الانتقال من مدريد إلى سلامنكا هو انتقال في الزمن الممتزج بالمكان، حيث أنك تنتقل من عوالم الحداثة، ومن الحياة المضطربة التي يتقاسمها ذلك الثلاثي الشهير في المدن الغربية الكبرى والمرتبط بالحياة اليومية: مترو، عمل، نوم، فهذه الظاهرة الاجتماعية بلغة بيربورديو منعدمة في هذه المدينة.

إنها مدينة ذات هندسة وسطوية عتيقة متوحشة في الجمال ولا ترى فيها الا المرأى الحسن، سكانها أكثر فرحاً وسعادة من سكان مدريد، هكذا تجد ان مساءات سلامنكا عبارة عن رومانسية ما بعد الحداثة، للشعر وللرقص في الساحة العمومية معنى وجودي، وللعشق، وللحب رمزية كبيرة في حياتهم اليومية من المستحيل أن تجد امرأة متسكعة تتسول بجسدها، على الرغم من ان في سلامنكا أشقياء يبحثون عن القوت اليومي، مع ذلك ان الغرب، رغم اغترابنا فيه، فإنه يعلمنا بان اللقاء بالحياة هو لقاء عرفاني، او ربما حقاني يتم تمزيق ذلك الستار الشفاف بيننا وبين القلب، لأن من لم يتذوق متعة الحيرة ولذة التقلب لا قلب له، ومن لا قلب له لا يعول عليه كما يقول الشيخ الأكبر محيي الدين الذي أشك في عدم زيارته لهذه المدينة اللذيذة، ولم يتذوق فيوضات أمكنتها ويمنحها مقام المكانة حيث يتم التوحد بين الذات والمكان من خلال الإفراط في العشق.

ان سلامنكا تعلمنا من خلال فيلسوفها الوجودي انامونو بأنني حين أراك أعرفك، واعترف بك لأن لك الحق في الحياة مثلي كما ان لك الحق في الموت مثلي أيضا. هكذا يتعين علينا ان نطالب بالمستحيل حتى يكون هناك ممكن، خاصة واننا نعلم بان الممكن قد يتحول إلى مستحيل، هكذا يتم الاعتراف بهوية المستحيل من اجل الحصول على الممكن.

لعل سحر سلامنكا وأناقة فضاءاتها وجاذبية عطرها تدفعك إلى استحضار هذه الاشراقات الفلسفية لأنها عاصمة الثقافة الأوروبية، مدينة مؤسسة على الثقافة مثيرة لدهشة السياح، مقامها بلغ درجة عالية في مراتب الروح. في سلامنكا لا يمكن إلا أن تكون شاعر أو فيلسوفا او رساما وربما موسيقيا ومسرحيا على الرغم من انك قد تكون لك مهنة أخرى، مدينة تسكنها الأرواح وترقص في ساحتها المقدسة الشياطين وتنام في قلبك حتى النهاية.

في سلامنكا هناك اعتقاد شائع بان كل زائر لم يكتشف سر المدينة والمعلق في زخرفة جامعتها العتيقة لا يمكنه ان يزورها مرة ثانية، وهذا السر يتجلى في ذلك الضفدع الذي يقبع فوق جمجمة عالم من علمائها. وفي الواقع يتطلب الأمر منك ان تتأمل تلك الرسوم الجميلة وتندهش أمام مبدعيها وقد يساعدك الحظ فتتعرف على الشعار الروحي للمدينة الذي ينتمي إلى القرون الوسطى ويستمر في القلوب لينتقل من القلب إلى القلب باحثا عن الأبدية.

* كاتب من المغرب

تداعيات

على الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني الاعتذار!

بشير زعبية*

■ ربما لست وحدي من تضطره المعطيات الموضوعية في أوقات ومناسبات عديدة الى الاتكاء على نظرية المؤامرة في تفسير ما يحدث استنادا الى تلك المعطيات رغم نفور البعض وأنا منهم أيضا من الزج المكرر بالمؤامرة كلما حلت بالعرب واقعة أو بغيرهم أحيانا.. ويظل الجدل قائما في كل الأحوال حول صوابية هذا النمط من التفكير أو عدم صوابيته.. في هذا السياق أجد نفسي أقرأ ما صدر عن بابا الفاتيكان بنديكيت السادس عشر حول الاسلام في محاضرته التي ألقاها في إحدى جامعات ولاية بافاريا الألمانية مسقط رأسه مؤخرا.. وأجد نفسي أمام جملة من التساؤلات التي تجعل هاجس المؤامرة حاضرا بقوة لدى أكثر المسلمين عند محاولة الاجابة عنها.. وأبدأ أولا بالتساؤل لماذا يخوض البابا في هكذا موضوع يدرك مسبقا مدى حساسيته والعالم بالكاد يخرج من حالة مماثلة بسبب تداعيات الرسوم المسيئة للرسول (صلعم) التي نشرتها صحيفة دنماركية في مثل هذا الشهر من العام الماضي وهو يدرك أيضا أنه ليس أي أحد واذا قيل عن تلك الرسوم أن صاحبها مجرد فنان عادي قال رأيا عن طريق الكاريكاتير فان الذي يبدو وكأنه ترجم تلك الرسوم كلاما اليوم هو صاحب الفاتيكان المرجع الروحي لأكبر الطوائف المسيحية في العالم، ويدرك أي عاقل والبابا بوجه خاص وهو الذي يتحدث عن العقل أن المناخ الديني المحتقن الذي أطلق فيه كلامه لا يسمح بمزيد من الاحتقان خاصة أن المستهدف في هذا المناخ هو الاسلام. كما يدرك البابا ولا شك أن كلامه جاء بعد تصريحات للرئيس الأمريكي جورج بوش أطلق فيها مصطلحا جديدا هو «الاسلاميون الفاشيون» وفهم منها الكثير من المسلمين أنه تعمد الربط بين الاسلام والفاشية ومن حق الكثيرين أن يروا في ذلك تناغماً بين كلام الاثنين يذكّر بذلك التناغم الذي كان بين موقفي البابا الراحل يوحنا بولس الثاني والرئيس الأمريكي رونالد ريغن في تصعيد الحرب على الشيوعية والتي ظهر خلالها مصطلح «امبراطورية الشر»، ومن حق هؤلاء أيضا أن يتذكروا نظرة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة) للاسلام كأكبر تحد سيواجه العالم الغربي في القرن الواحد والعشرين بعد سقوط الشيوعية أي بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.. أما التساؤل الثاني فهو ما هو المبرر الملح والعاجل الذي أجبر البابا على اطلاق هذا الكلام؟ أما كان يمكن لمحاضرته الطويلة أن تخلو من تلك الجمل العشر التي تضمنت كلامه المثير دون أن يشوب محاضرته أي قصور؟ أكان لا بد ومن الضروري أن ينقب في التاريخ ويستحضر من القرون الوسطى كتابا لامبراطور بيزنطي اقتبس من صاحبه رأيا سلبيا في الاسلام كتبه تحت ظرف ما؟ لو حدث هذا من قبل البابا في جلسة حوار يحضر فيها الرأي والرأي الآخر لكان ذلك مقبولا اذ يحضر النقاش وتحضر الحجة أما أن يعلن هكذا رأيا في هكذا مناسبة بشكل أحادي وعلى مستوى رأس الكنيسة الأكبر فهو أمر يثير علامات استفهام كبيرة ولا يمكن استيعابه بحيادية.. والسؤال الأهم هو ماذا لو كان الأمر يتعلق بالمسألة اليهودية أما كان قد بادر قداسة البابا بالاعتذار لليهود وهو الذي يرفض حتى الآن اعلان الاعتذار الصريح للمسلمين.. بل هل كان يجرؤ أساسا على التعاطي بمثل هذا الأسلوب مع الديانة اليهودية؟ وبالمناسبة وهو قد تحدث بحماس عن نبذ العنف واعمال العقل وربط الاسلام بالعنف وأنكر عليه العقل ما كان رأي قداسة البابا حين كان العنف الاسرائيلي يمارس في أقصى درجاته على الشعب اللبناني من خلال قصف جوي وبري وبحري وحشي أودى بحياة المئات من الأطفال والشيوخ والنساء في مجازر غالبية ضحاياها مسلمون؟ أم في العقلية الاسرائيلية المسؤولة عن تلك المجازر اعمال للعقل ونبذ للعنف؟ وما موقفه من حرب الابادة اليومية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني على أيدي الاسرائيليين الذين لم تسلم من عدوانهم حتى الكنائس؟

لقد قيل في موضوع الرسوم المسيئة ان المسلمين الذين أغضبتهم تلك الرسوم أساؤوا فهم الرسام وأن كل ما فعله هو مجرد رأي أبداه في اطار حرية التعبير التي (ينعم) بها الغرب ورفضت الدنمارك تقديم الاعتذار عن ذلك مكتفية بابداء الأسف عن(سوء الفهم)الذي حدث نتيجة ذلك.. واليوم يتكرر الشيء نفسه.. فقط أن البابا تنصل من مسؤولية الرأي وقال ان ما أورده كان اقتباسا يمثل رأي صاحبه أي امبراطور بيزنطا وليس رأيه الشخصي وكأنه يطالبنا بملاحقة رجل رحل منذ أكثر من ستمئة عام ومطالبته بالاعتذار لكن هل تنعدم مسؤولية ناقل الكفر في غياب الكافر؟ وفي تقديري أيضا وأنا متجرد من التعصب والجمود ان ما بدر من قداسة البابا سقطة غير مبررة تتناقض مع مبدأ اعمال العقل الذي دعا اليه في محاضرته ولا تخدم الحوار المطلوب بين الأديان ولا تبحث عن المشترك بينها بل تنبش عن الاختلاف ولا تساعد على احتواء حالة الاحتقان الموجودة بل من شأنها أن تزيد من حدتها وتعمقها..

من هنا تبدو الحاجة ملحة الى خطوة ابداء حسن النية من رأس الفاتيكان نفسه.. لا شك في أن المسألة بتراكماتها السابقة وبما يمكن أن تدفع تداعياتها الحالية الى تراكمات لاحقة هي أكبر من مجرد عبارات ابداء الأسف وليس كثيرا على المسلمين الاعتذار عن كلام اعتبروه مسا مباشرا بدينهم وبنبيهم وبتاريخهم لم يصدر من شخص نكرة بل من شخص له تلك المنزلة الدينية والروحية الكبيرة لدى أبناء الديانة المسيحية في العالم عموما.

* كاتب من ليبيا
bzabiya@yahoo.com

«إن شاء الله» كتاب للمصور الصحافي السويدي دونالد بوستروم:

فلسطين بالصورة المعبّرة والكلمة المنصفة

أوبسالا (السويد) ـ «القدس العربي» ـ من رشيد الحجة:

«إن شاء الله» هو الكتاب الذي قامت بنقله من اللغة السويدية إلى العربية أمل عطا عباس الكسواني حول قضية فلسطين، للمصور الصحافي السويدي دونالد بوستروم، وقد صدر في شهر آب/ أغسطس الفائت بعد أن تم تعديل موسع على الطبعة السويدية التي صدرت في عام 2001 ليشمل الأحداث التي مرت في فلسطين حتى عام 2006 فاضيفت ابواب جديدة وحذف باب واحد وأضيف العديد من الصور بين دفتيه اللتين تضمان حوالي 450 صفحة. تم إخراج الكتاب في السويد وطبع في الدنمارك وترجم إلى الإنكليزية ووزع على نطاق واسع في الولايات المتحدة الأمريكية، حسب صحيفة كنداـ بوستن.

يتناول الكتاب القضية الفلسطينية مركزا على مرحلة تاريخية تمتد ما بين الانتفاضة الأولى مرورا بما سمي بعملية السلام تحت سقف اتفاقية أوسلو والإجراءات الإسرائيلية لتفريغ هذه العملية من مضمونها من خلال مصادرة الأراضي وبناء المستعمرات الجديدة وتوسيع القديمة وإعدام القادة الفلسطينيين دون محاكمات عن طريق استخدام الأباتشي وقتل المدنيين دون تمييز وبشكل ممنهج والعقوبات الجماعية من خلال مئات الحواجز وسرقة المياه وقلع الشجر وهدم المنازل. تحدث المشاركون عن قراءاتهم وكتاباتهم وعن زياراتهم المتكررة لفلسطين واللقاءات التي اجروها مع كل من الفلسطينيين والإسرائيليين، وعن مشاهداتهم للمتغيرات والتشوهات التي اقترفتها أيدي الإسرائيليين في وجه فلسطين وشعبها. وما يميز الكتاب عن غيره أمور عدة أهمها:

1 ـ شارك في الكتاب 13 من أبرز الكتاب الصحافيين في السويد ـ منهم بير جارتون وهو عضو في البرلمان الأوروبي عن حزب الخضر السويدي ورئيس مجموعات أنصار فلسطين، وكذلك يان جيويو أشهر الكتاب السويديين والكاتب الصحافي بنكت نيلسون. واللافت أن من بينهم اثنين من اليهود واحدة منهما، كورديليا إفاردسون، كاتبة وصحافية وتعمل مراسلة من القدس لواحدة من أكبر الصحف السويدية، سفنسكا داج بلادت. كانت هذه السيدة صهيونية مئة بالمئة ولها عدد من المؤلفات في هذا الاتجاه وقد غيرت الانتفاضة الأولى مفاهيمها لرؤيتها الجندي الإسرائيلي يعتدي على الأطفال والنساء والشيوخ العزل وحتى على الشجر والحجر. ودونت في الكتاب ثلاثة فصول حكت فيها عن الانتفاضة الأولى وعن الانتفاضة الثانية وأخيرا عمن سمتهم بالانتحاريين، عوضا عن الاستشهاديين.

أما الآخر، يوران روسنباري، فهو فيلسوف وكاتب وصحافي بارز جدا ومؤثر قوي في الرأي العام السويدي فيشكك في استمرارية بقاء إسرائيل فيما إذا استمرت بسياستها العنصرية التي تمارسها ضد الشعب الفلسطيني.

2 ـ يضم الكتاب ما يزيد عن 200 صورة، التقطتها عدسة دونالد بوستروم صاحب الإحساس العالي وزعها بعد كل باب لزيادة شرح الكلمات التي تضمنتها الابواب، وتأكيده هذه المضامين، منذ انتفاضة 1987 وحتى جدار الفصل العنصري. ويضيف بوستروم لصوره، المميزة والمعبرة في كثير من الأحيان أكثر من الكلام المكتوب، مقدمة للكتاب وبابين آخرين.

3 ـ إن واحدا من المشاركين هو توماس همرباري ليس صحافيا محترفا بل يشغل منصب أمين عام مركز أولوف بالمه الدولي وشغل سابقا مركز أمين عام لمنظمة أنقذوا الأطفال ومنظمة العفو الدولية فرع السويد وهو الآن سفير الحكومة السويدية للقضايا الإنسانية. تحدث همرباري تحت عنوان الدمار في فلسطين عن المحاولات التي أجرتها الأمم المتحدة لإرسال خبراء دوليين لحقوق الإنسان وكذلك محاولة مجلس الأمن لإرسال لجنة تقصّ للحقائق لما جرى على أرض جنين من قتل وتهديم برئاسة الرئيس الفنلندي السابق وبموافقة الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف نجحت حكومة شارون بإفشال كل هذه المحاولات. ويضيف بأن الإعدامات السياسية والقتل دون تمييز بين طفل وإنسان آخر والتعذيب أثناء التحقيق مع المعتقلين إضافة للاحتلال بحد ذاته هو مخالفة صريحة للقانون الدولي لحقوق الشعوب.

4 ـ أجمع الكتاب المشاركون على أن الفلسطينيين قد مدوا يد السلام وأعطوا الكثير وتنازلوا عن 78 % من أرض فلسطين من أجل السلام لكن اسرائيل تتمادى في سلوكها العدواني والعنصري تجاه الشعب الفلسطيني وعلى المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤولياته في حماية الفلسطينيين من البطش الإسرائيلي ومنحه دولة مستقلة يعيش فيها بكرامة كباقي شعوب الأرض. هذا وقد كُتبت في «إن شاء الله» كلمات كثيرة وقوية نشرت على صفحات الجرائد والمجلات السويدية كان من بينها صحيفة سمولاند ـ بوستن بقولها (على الراغبين في معرفة أي شيء عن الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين إغلاق وسائل الإعلام وإيقاف ضجيجها لبعض الوقت وأن يستعيضوا عنها بقراءة كتاب «إن شاء الله». ويمكن القول بأنه كتاب فريد من نوعه على الساحة السويدية والعربية في استخدامه الصورة المعبرة والكلمة النابعة من القلب.

الناقد الأردني عدنان مدانات: معظم المخرجين العرب استسلموا للسينما التجارية

الاسماعيلية ـ (مصر) ـ من سعد القرش:

ما زال مصطلح «السينما العربية البديلة» شعارا للتمرد على السينما التجارية السائدة منذ المهرجان الاول والاخير للسينمائيين العرب الشبان الذي عقد في دمشق عام 1972. لكن من كانوا يعتبرون في مطلع السبعينات نواة لحلم سينمائي عربي جديد اقتربت أعمارهم من الستين وتجاوزتها أعمار بعضهم ورغم ذلك فلا يزالون يصارعون لاخراج فيلم يتراوح أحيانا بين حلمهم القديم والسينما التي تمردوا عليها. وكان الناقد والمخرج الاردني عدنان مدانات أحد منظري «السينما البديلة» اخراجا ونقدا.

وقال مدانات ان شعار «السينما البديلة» كان حلما بددته أكثر من ثلاثين عاما من التحولات الايديولوجية والفكرية والسياسية في العالم العربي وان معظم الذين طالبوا به اضطروا لتقديم تنازلات ليخرجوا أفلامهم.

وأضاف في مقابلة مع رويترز على هامش مهرجان الاسماعيلية الدولي للسينما التسجيلية الذي تنتهي دورته العاشرة غدا الجمعة أن السينمائيين العرب الذين كانوا انذاك شبانا حلموا بتغيير وجه السينما العربية مدفوعين بطموح كبير يغذيه انتماؤهم لليسار وكان لهم منظرون من النقاد في مقدمتهم المصري سمير فريد.

وترجم مدانات وهو رئيس قسم السينما بمؤسسة عبد الحميد شومان بالاردن كتبا في مجال السينما كما صدرت له كتب في النقد السينمائي اخرها «تحولات السينما العربية.. قضايا وأفلام» وصدر عن دار كنعان بدمشق ويقع في 270 صفحة. ويناقش الكتاب عددا من قضايا السينما العربية كما يتناول أكثر من 40 فيلما عربيا منها «ليلة ساخنة» و«ناجي العلي» للمصري الراحل عاطف الطيب و«عرق البلح» للمصري الراحل رضوان الكاشف و«أرض الاحلام» و«أرض الخوف» لداود عبد السيد و«ليالي ابن اوي» و«نسيم الروح» للسوري عبد اللطيف عبد الحميد و«أشباح بيروت» للبناني غسان سلهب و«طيف المدينة» للبناني جان شمعون و«نشيد الحجر» للفلسطيني ميشيل خليفي و«عرس القمر» للتونسي الطيب الوحيشي و«على زاوه» للمغربي نبيل عيوش و«العيش في الجنة» للجزائري بوعلام قرجو.

وقال مدانات ان السينمائيين العرب الشبان تأكد لهم «في فترة الحلم» أن الساحة خالية من الفرسان وأنهم مؤهلون لتلك المهمة انطلاقا من استطاعة السينما أن تؤدي دورا في معالجة قضايا الشعوب العربية وربط الواقع بالسياسة في صيغة تختلف عما تعود عليه المشاهد العربي الذي تربى على التسلية التي قدمتها له أفلام تجارية منذ بداية صناعة السينما في مصر. وأشار الى أن السينمائيين الطامحين لسينما جديدة وبديلة فرضوا أسماءهم على المشهد الثقافي السينمائي العربي حيث حققت أفلامهم تجاوبا ونجاحا جماهيريا لافتا وان كان بدرجة أقل من السينما التجارية. كما اكتسبت أفلامهم شهرة من الحفاوة بها في المهرجانات السينمائية الدولية مشيدا بتجربة المخرج الجزائري الاخضر حامينا في وقائع سنوات الجمر» أول فيلم عربي يفوز بالسعفة الذهبية من مهرجان كان وتجربة المخرج التونسي ناصر القطاري في «السفراء».

و«السفراء» هو أول فيلم يعالج بعمق مشاكل العمال العرب المهاجرين الى أوروبا الذين يعيشون ظروفا قاسية ويعانون المشاعر العنصرية ضدهم في حين يطلب منهم أن يكونوا سفراء لبلادهم في أوروبا. وقال مدانات ان تجربة السينمائيين المصريين «تكتسب أهمية خاصة لانها استطاعت التصالح مع النظام الانتاجي التجاري واختزقته وتمكنت بالتالي من تحقيق قفزة النوعية في مستوى ونوعية الافلام».

(رويترز)